مجلة جامعة الملك سعود، م ٦، الآداب (١)، ص ص ٨٧-١١٧ (١٤١٤هـ / ١٩٩٤م).

تحليل الظواهر الصوتية في قراءة الكسائي

سمير شريف ستيتية
أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها،
كلية الآداب، جامعة اليرموك، إربد، الأردن

(ورد بتاريخ ١٢/٨/١٤١٢هـ، وقبل للنشر بتاريخ ٢٧/١٢/١٤١٢هـ)

ملخص البحث. هدفت هذه الدراسة إلى استخلاص الظواهر الصوتية في قراءة علي بن حمزة الكسائي، وهو أحد القراء السبعة الذين تلقت الأمة قراءاتهم بالقبول والتسليم. تقع هذه الدراسة في فصلين تناول أحدهما حياة الكسائي العلمية والثقافية، كما تناول قراءته والراويين اللذين روياها وهما الدوري والليث البغدادي.

أما الفصل الثاني: فقد تناول بالبحث والتحليل أهم المعالم الرئيسة في الظواهر الصوتية في قراءة الكسائي. وقد وزعت هذه الظواهر على ثلاثة محاور رئيسة هي: المماثلة، والإمالة، وتغير البنية المقطعية. أما المماثلة فقد درست فيها أهم أنواعها في قراءة الكسائي وهي: المماثلة التقدمية المباشرة، والتقدمية غير المباشرة، والرجعية المباشرة. وأما الإمالة فقد درست فيها أهم خصائص هذه الظاهرة الصوتية بعد أن بينت حقيقتها. وقد استعنت بالأجهزة الصوتية في تحليل هذه الظواهر. وقد كانت الدراسة في هذا البحث فونولوجية وأكوستيكية في وقت واحد.

أولاً: الكسائي: حياته، درايته وقراءته

١ ـ حياته ودرايته

هو أبو الحسن عليّ بن حمزة بن عبدالله بن بهمن بن فيروز الأسدي، من الموالي، وهو فارسي الأصل، وأحد أئمة الكوفة. كان من أوعية العلم في النحو واللغة والقراءات. أما النحو

النحو واللغة، فقد ارتحل من أجلهما إلى البصرة، وهناك التقى الخليل بن أحمد،(١) إمام أئمة اللغة والنحو، وأخذ عنه، ثم ارتحل إلى الجزيرة، حيث عاش بين الأعراب، حتى صار كأنه منهم. ثم رجع إلى الكوفة، وعنده من اللسان العربي مادة كثيرة، وعلم جم وغزير، إلى جانب ما أخذه عنهم من الفصاحة. وحسنا أن نعرف أنه أحد أعلام النحو الكوفي، بل هو المؤسس الحقيقي لمدرسة الكوفة في النحو، وإن كانت بداياتها قد أخذت تخط وجودها على يد أبي جعفر الرؤاسي(٢) كما يرى مؤرخو النحو.(٣)

أما القراءات، فقد أخذها عن أئمتها في الكوفة، حتى لَقِنَها، وكان في مقدمة شيوخه حمزة بن حبيب الزيات،(٤) أحد القراء السبعة الذين تلقت الأمة قراءاتهم بالقبول والتسليم. وقد انبرى الكسائي لإقراء الناس في الكوفة، بعد شيخه حمزة، فكان له في مسجدها حلقة، يتلو فيها القرآن من أوله إلى آخره، والناس يسمعون ويضبطون عنه.(٥)

وللكسائي آثار كثيرة منها: كتاب *معاني القرآن* وكتاب *مختصر النحو*، وكتاب *القراءات*، وكتاب *العدد*، وكتاب *النوادر الكبير*، *والأوسط*، *والصغير*، وكتاب *الهجاء*، وكتاب *مقطوع القرآن* وموصوله، وكتاب *المصادر*، وكتاب *الحروف*، وكتاب *الهاءات*.

---

(١) الخليل بن أحمد الفراهيدي، من أزد عُمان، ولد سنة مائة للهجرة، عاش في البصرة، وهو أستاذ سيبويه. ألف أول قاموس في العربية وهو *العين*، وهو واضع علم العروض. توفي سنة خمس وسبعين ومائة. علي بن يوسف القفطي، *إنباه الرواة على أنباء النحاة*، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٦م)، جـ١، ص٣٧٦.

(٢) أبو جعفر محمد بن الحسن الرؤاسي الكوفي النحوي، إمام مشهور، روى القراءة عن أبي عمرو، روى عنه الكسائي والفراء. محمد بن الجزري، *غاية النهاية في طبقات القراء*، تحقيق برجستراسر (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٠م)، جـ٢، ص١١٦.

(٣) شوقي ضيف، *المدارس النحوية* (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٦م)، ص١٥٣.

(٤) حمزة بن حبيب الزيات، أحد القراء السبعة، ولد سنة ثمانين، وأدرك بعض الصحابة بالسّن. أخذ القراءة عرضًا عن الأعمش، توفي سنة ١٨٥هـ.

(٥) محمد بن الجزري، *النشر في القراءات العشر* (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت.)، جـ١، ص١٧٢.

والكسائي ثقة، عادل، ضابط، وعالم كبير. وقد قال فيه الشافعي(٦): «من أراد أن يتبحر في النحو فهو عيال على الكسائي.» وقال يحيى بن معين:(٧) «ما رأيت بعيني هاتين أصدق لهجة من الكسائي.» غير أن الأعلام المتميزين يبتلون عادة ببعض من يحسدونهم، فيحوكون حولهم قصصًا ينسبونها إليهم، وذلك من أجل أن تهتز ثقة الناس بهم. والكسائي من العلماء الذين نسبت إليهم أقوال وأفعال، لا ينبغي أن نأخذها مأخذ التسليم، من هذه القصص. قصة مناظرته لسيبويه. ومن المؤسف حقًّا أن بعضهم يأخذ هذه الحكاية مأخذ التسليم، وينعى على الكسائي (فعلته) التي لم يقترفها، وهي رشوة أعرابي من أجل أن يؤيد ما ذهب إليه في المسألة الزنبارية. لقد تناول المخزومي هذه القصة على أنها حقيقة مسلمة، فقال: «وقصة مناظرته مع سيبويه، *وتآمره مع جعفر بن يحيى* وأخيه الفضل على اغتصاب الفوز معروفة، عرفها القدماء، وأحاطوا بجميع ظروفها وملابساتها، ثم سجلوها شعرًا ونثرًا، فلا أجد هنا ما يدعوني إلى إثباتها أو التعليق على موقف الكسائي وتلاميذه من سيبويه، ذلك الموقف الذي يصور الكسائي في صورة رجل يعوزه شيء *غير قليل من الأمانة العلمية*.»(٨)

وأما التهمة التي تقول «لولا أن الكسائي دنا من الخلفاء فرفعوا ذكره لم يكن شيئًا، وعلمه مختلط بلا حجج ولا علل، إلا حكايات لأعراب مطروحة، لأنه كان يلقنهم ما يريد.»(٩) فالرد عليها فيما يأتي:

١ - أما أن علمه بلا حجج ولا علل، فلأن منهج الكوفيين يتأبى على تعليل الظواهر، ولا يفسرها تفسيرًا عقليًّا موغلاً كما كان البصريون يفعلون. فهذه، إذن، حسنة

---

(٦) محمد بن إدريس الشافعي، أحد أئمة الإسلام، ولد سنة خمسين ومائة بغزة، أخذ القراءة عرضًا عن إسماعيل بن عبدالله المكي، توفي سنة ٢٠٤هـ. ابن الجزري، *غاية النهاية*، جـ٢، ص٩٥.

(٧) يحيى بن معين سيد الحفاظ، ولد سنة ثمان وخمسين ومائة. سمع هشيما وابن المبارك، روى عنه أحمد والبخاري ومسلم وغيرهم. توفي سنة ٢٣٣هـ. محمد الذهبي، *تذكرة الحفاظ* (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت.)، جـ٢، ص٤٢٩.

(٨) مهدي المخزومي، *مدرسة الكوفة* (القاهرة: مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٥٨م)، ص١٠٢.

(٩) تنسب هذه المقولة إلى أبي الطيب اللغوي. انظر: المخزومي، *مدرسة الكوفة*، ص١٠١.

وليست سيئة، أو قل: هذا منهج، وذاك منهج. لقد سئل الكسائي مرة عن شذوذ (أيّ) الموصولة في استعمالها عن سائر أخواتها الموصولات، فقال: «أيّ كذا خلقت.» يقول أمين الخولي: «إن الكسائي بإجابته هذه يذكرنا بمدرسة قومه في النحو، وما تميل إليه من التتبع اللغوي، وعدم التأويلات البعيدة، والإمعان المنطقي الذي جنحت إليه مدرسة البصرة المناظرة.»(١٠)

٢ - وأما أنه كان يملي على الأعراب ما يريد ليحتج بهم على مناظريه، فتلك تهمة لا دليل عليها. وقد اتهم بها علماء أجلاء. فهذا ادعاء لا تقوم به حجة علمية.

عاش الكسائي سبعين سنة، فقد ولد سنة تسع عشرة ومائة، وتوفي سنة تسع وثمانين ومائة.

٢ - قراءته

أخذ الكسائي القراءة عرضًا وسماعًا ممن لقيهم من الأئمة، وكان حمزة بن حبيب أحد هؤلاء الأئمة. ولكن الكسائي كان له اختيارات مما تعلمه ورواه. وقد خالف بهذه الاختيارات شيوخه، وإن كان من المسلم به أن الاختيار سيكون مما صح نقله بالتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم، ووافق رسم أحد المصاحف العثمانية، ووافق العربية ولو بوجه. وهذا هو الذي حدث في قراءة الكسائي، فقد اختار مما صح له سنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن عدد من الصحابة رضوان الله عليهم.(١١)

غير أنه ينبغي لنا أن نتنبه إلى أن الاختيار لا يعني بالضرورة النيل من القراءات الأخرى، أو الطعن فيها. وقد ذهب شوقي ضيف إلى أن الكسائي هو الذي بدأ تخطئة القراءات، وأنه هو الذي ابتدع هذه البدعة، فقال: «ويظهر أن الكسائي هو الذي بدأ تخطئة القراءة.»(١٢) وقال: «وسنرى في ترجمته أنه أنكر عدة قراءات.»(١٣) وجئت إلى ترجمة

---

(١٠) المخزومي، *مدرسة الكوفة*، ص ص٢٠٢ - ٢٠٣.

(١١) هم: عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعبدالله بن مسعود، وعبدالله بن عباس رضي الله عنهم.

(١٢) ضيف، *المدارس النحوية*، ص١٥٧.

الكسائي عند شوقي ضيف، فإذا هذا الذي يريد ضيف أن يرينا إياه، يرينا خلافه ونقيضه تمامًا، ذلك أنه قدم لنا عددًا من الأمثلة التي تدل على حرص الكسائي حتى على القراءات التي تظهر فيها حروف شاذة، يقول شوقي ضيف: «وأكبر الظن أن الذي دفع الكسائي إلى هذا الموقف وأن يفسح في العربية للّغات الشاذة النادرة، أنه كما عرفنا من القراء للذكر الحكيم، وكانت تجري في قراءته حروف تشذ على قواعد النحو البصري، فخشي أن يظن بهذه الحروف أنها غير جائزة، وأنها لا تجري على العربية السليمة، وربما خشي اندثارها، وهي جميعًا مروية عن الرسول صلى الله عليه وسلم، غير أن منها ما هو متواتر، وهو القراءات السبع، ومنها ما هو غير متواتر، وهو ما وراءها من قراءات، وجميعها صحيح، وينبغي أن نتوسع في قواعد النحو والصرف حتى تشمله.(١٤) ولا نجد في ترجمة الكسائي، عند ضيف، مثالاً واحدًا على تخطئة الكسائي لأية قراءة. ثم إن القراءات المتواترة ليست سبعًا، كما يقول شوقي ضيف، بل هي عشر. وقد اتفق على ذلك علماء القراءات، وألفوا فيه كتبًا.

راويا قراءته

١ ـ الدوري: هو أبو عمر حفص بن عمر بن عبدالعزيز بن صهبان الدوري الأزدي البغدادي النحوي. كان ضريرًا، نزل بسامراء، وأقام فيها، وكان إمام القراءة في زمانه. وهو ثقة، ثبت، كبير. وقد رحل في طلب القراءات، وقرأ بسائر الحروف السبعة، وبالشواذ، وسمع من ذلك شيئًا كثيرًا. ولد أيام المنصور سنة خمسين ومائة في الدور (موضع ببغداد)، وتوفي سنة ست وأربعين ومائتين. وكان ذلك في آخر أيام المتوكل الذي قتل سنة سبع وأربعين ومائتين.(١٥)

٢ ـ الليث البغدادي: هو أبو الحارث الليث بن خالد البغدادي، ثقة، حاذق، ضابط للقراءة متقن لها. قال فيه الداني: «كان من جلة أصحاب الكسائي.»(١٦) عرض

---

(١٣) ضيف، *المدارس النحوية*، ص١٥٧.

(١٤) ضيف، *المدارس النحوية*، ص١٧٦.

(١٥) محمد بن جرير الطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٧م)، جـ٩، ص٢٢٢.

(١٦) ابن الجزري، *النشر*، جـ١، ص١٧٣.

على الكسائي، وروى الحروف عن حمزة بن القاسم، (١٧) وعن اليزيدي، (١٨)، وروى القراءة عنه عرضًا وسماعًا كثيرون منهم: الفضل بن شاذان، (١٩) وسلمة بن عاصم(٢٠) وغيرهم. توفي سنة مائتين أو نحوها.

ثانيًا: الظواهر الصوتية في قراءة الكسائي

المعروف عن قراءة الكسائي أنها تجمع بين خصائص كثير من القراءات القرآنية. وما ذلك إلا بسبب الاختيار الذي تتميز به القراءات القرآنية كلها وإن كانت قراءة الكسائي من أبرز هذه القراءات في عملية الاختيار. هذا، ويمكن إجمال أبرز الأطر التي تدرس عن طريقها الظواهر الصوتية، في قراءة الكسائي، في الموضوعات الآتية: المماثلة، الإمالة، وتغير البنية المقطعية. وهذا بيان ذلك:

١ - المماثلة

قد يتغير ملمح أو عدد من ملامح الصوت الواحد في قراءة الكسائي، لمماثلة صوت مجاور. وقد يكتسب هذا الصوت بعض الملامح من الصوت المجاور. ولما كانت المماثلة تنقسم – بحسب الاتجاه – إلى مماثلة تقدمية، أو رجعية، وبحسب المجاورة إلى: مباشرة، وغير مباشرة، فإن المماثلة في قراءة الكسائي، تنتظم هذه الأنواع، وفيما يأتي بيان ذلك:

---

(١٧) حمزة بن القاسم الأزدي الكوفي، أخذ القراءة عرضًا وسماعًا عن حمزة الزيات وحفص بن سليمان، وروى القراءة عنه الدوري والليث. ابن الجزري، *غاية النهاية*، جـ١، ص٢٦٤.

(١٨) أبو محمد يحيى بن المبارك البصري المعروف باليزيدي، إمام نحوي مقرىء. أخذ القراءة عرضًا عن أبي عمرو بن العلاء، وأخذ عن الخليل بن أحمد، توفي سنة ٢٠٢هـ. ابن الجزري، *غاية النهاية*، جـ٢، ص٣٧٥.

(١٩) أبو العباس الفضل بن شاذان عالم كبير، وثقة ضابط محرر، توفى سنة ٢٩٠هـ. ابن الجزري، *غاية النهاية*، جـ٢، ص١٠.

(٢٠) أبو محمد سلمة بن عاصم البغدادي النحوي، صاحب الفراء، توفى بعد سنة ٢٧٠هـ. ابن الجزري، *غاية النهاية*، جـ١

ا- المماثلة التقدمية المباشرة

وفيها يتم تأثير صوت في صوت يتبعه دون وجود فاصل بينهما. هذا النوع من المماثلة قليل جدًّا في قراءة الكسائي. ومن أوضح أمثلته فيها: أن الكسائي قرأ (قيل)، و (غيض) بالإشمام، وحقيقة الإشمام في نظرهم: جعل الياء (وهي حركة أمامية طويلة) مركبة من حركتين: الضمة، والكسرة.⁽²¹⁾ وعلماء الأصوات المعاصرون يذهبون إلى تفصيل أدق في هذه المسألة، إذ يرون أنه يستحيل الجمع بين الضمة والكسرة، إذ يكون اللسان في الأمام عند نطق الكسرة، ويكون في الخلف عند نطق الضمة.⁽²²⁾ والذي يحدث عند نطق الإشمام بالضبط، هو أن اللسان يتخذ الوضع الذي يكون عليه عند نطق الكسرة، وفي اللحظة نفسها يتم تدوير الشفتين. وتسمى هذه الحركة في علم الأصوات: «الحركة المعيارية الثانوية الأولى،» أو بحسب أوصافها: «الحركة الأمامية الضيقة المدورة،» تمييزًا لها من الكسرة، والتي تدعى بحسب أوصافها: «الحركة الأمامية الضيقة غير المدورة.»

والمماثلة التقدمية المباشرة في: (قيل) و (غيض)، تظهر في تأثير القاف، والغين، في الحركة التي بعد كل منهما، وهي الياء، فالقاف والغين صوتان خلفيان، وحجرة رنين كل واحد منهما في الجزء الأمامي من الحجرة الفموية. وأما الياء فهو صوت أمامي، وحجرة رنينه في الجزء الخلفي من الحجرة الفموية. فلما كان هذا يحتاج إلى شيء من الجهد، فقد أشمت الياء ضمًّا، أي أنها أصبحت ما يسمى: الحركة المعيارية الثانوية الأولى. وهذه الحركة لها حجرتا رنين إحداهما أمامية، والأخرى خلفية، كما هو معروف في علم الأصوات. هذا، والمعادلة (١) تمثل هذا التغير:

المعادلة (١)

$$\text{ح}\begin{bmatrix}+\text{أمامية}\\+\text{مغلقة}\\-\text{مدورة}\end{bmatrix} \longrightarrow \text{ح}\begin{bmatrix}+\text{أمامية}\\+\text{مغلقة}\\+\text{مدورة}\end{bmatrix} \;/\; \text{ص}\begin{bmatrix}+\text{خلفي}\end{bmatrix}\;\_\_\_$$

---

(٢١) محمد محمد المحيسن، *المهذب في القراءات العشر* (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٧٨م) جـ١، ص٤٨.

(٢٢) انظر: J. C. Catford, *Fundamental Problems in Phonetics* (Bloomington, Indiana: Indiana University Press, 1977), p. 178.

حيث ح تعني : الحركة ؛ ص تعني : الصامت .

ب ـ المماثلة التقدمية غير المباشرة

وفيها يتم تأثير صوت في صوت لاحق بينهما فاصل . وهذا النوع من المماثلة أكثر من النوع السابق في قراءة الكسائي . ومن أمثلته أن الكسائي يقرأ ميم الجمع والهاء التي قبلها بضمهما، فهو يقرأ قوله تعالى : ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ ﴾(٢٣) **بضم الهاء والميم : «عليهُمُ الذلة ،» وكذلك في : ﴿قبلتِهُمُ التي كانوا عليها»﴾**(٢٤)، **﴿ويريهُمُ الله أعمالهم حسرات﴾**(٢٥)، وغير ذلك مما هو من بابه .

أما ضم الهاء في هذا كله، فهو أصل القياس، وكسرها صورة فرعية من صور هذا الأصل، إذ أن الأصل هكذا : على + هم ← عليهم . وعلى ذلك، فلا مماثلة في جعل الهاء مضمومة في قراءة الكسائي، فهذا هو الأصل كما قلنا . ولكن المماثلة تبرز في ضم ميم الجمع في هذه القراءة من أجل أن تماثل ضمة الهاء، مع وجود فاصل بينهما وهو الميم . ولا يكون ضم الميم مطلقًا، بل إذا كانت متبوعة بساكن . وهنا ينبغي أن نوضح عدة أمور :

١ ـ أن الكسائي يضم ميم الجمع إذا كانت متبوعة بهمزة وصل . وهذا هو ما كانوا يعبرون عنه بقولهم «متبوعة بساكن .» والحق أن همزة الوصل ليست صوتًا صامتًا، وإنما هي حركة خالصة .

٢ ـ إن الكسائي لا يضم ميم الجمع إذا كانت متبوعة بصامت كما في ﴿ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ، ﴾ فهو يسكّن ميم الجمع في «عليهم ، » ويسكنها كذلك إذا كانت متبوعة بالياء اللينة كما في ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾

---

(٢٣) سورة البقرة، الآية ٦١ .

(٢٤) سورة البقرة، الآية ١٤٢ .

(٢٥) سورة البقرة، الآية ١٦٧ .

٣ - إن الكسائي لا يضم حتى الهاء في (عليهم) إلا إذا كانت متبوعة بهمزة وصل، ولذلك فهو يقرؤها في سورة الفاتحة «عليهم.» ومعنى هذا في المحصلة النهائية أن المماثلة بوجود الضمتين رهن بسياق محدد، وهو أن تكون الهاء مسبوقة بكسر، كما في ﴿**في قلوبِهُمُ العجل**﴾،(٢٦) أو ياء كما في ﴿**عليهُمُ الذلة**﴾.

٤ - غير أن ضم الهاء والميم معا في غير هذا الموطن ليس خاصًّا بقراءة الكسائي، فإجماع القراءة منعقد على قراءة: ﴿**فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا**﴾(٢٧) بضم الهاء والميم، فلا تنفرد قراءة الكسائي بضمهما وكان لا بد للقراء أن يجمعوا على ذلك، لأن هاء ضمير التثنية أو الجمع الذي تنفرد به قراءة الكسائي هو أنها تضمهما عند اجتماع الشرطين الآتيين: (ا) سبق الهاء بياء أو كسرة؛ (ب) كون الميم متبوعة بهمزة وصل.

ومن صور المماثلة التقدمية غير المباشرة في قراءة الكسائي أنه قرأ ﴿**من بطونِ إِمَّهاتكم**﴾(٢٨) بكسر الهمزة في (إمَّهاتكم) وفتح الميم المشددة عند الوصل فقط،(٢٩) من أجل أن تماثل كسرة النون، وقرأ كذلك «فلإمّه» بكسر الهمزة(٣٠) لتماثل كسرة اللام.

جـ - المماثلة الرجعية المباشرة

وهي المماثلة التي يؤثر فيها صوت على صوت قبله دون وجود فاصل بينهما. وهذا النوع في قراءة الكسائي كثير. ومن أمثلته أن الكسائي قرأ الصاد بالجهر في «أصدق» في قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا**﴾،(٣١) والصاد في «يصدر» من قوله تعالى: ﴿**يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ**﴾(٣٢) وكان علماء القراءات يسمون هذه الظاهرة إشمام الصاد

---

(٢٦) سورة البقرة، الآية ٩٣.

(٢٧) سورة البقرة، الآية ١٠.

(٢٨) سورة النحل، الآية ٧٨؛ وسورة الزمر، الآية ٦.

(٢٩) المحيسن، *المهذب*، جـ٢، ص٨٦.

(٣٠) المحيسن، *المهذب*، جـ١، ص١٥٢.

(٣١) سورة النساء، الآية ١٢٢.

(٣٢) سورة الزلزلة، الآية ٦.

زايًا. (٣٣) وحقيقة هذا النوع من التماثل الصوتي هو أن الصاد (وهو صوت مهموس) يفقد ظاهرة الهمس ليماثل الصوت المجهور الذي بعده وهو الدال، فيصبح المهموس مجهورًا.

وهذه الظاهرة معروفة حقيقتها عند اللغويين العرب، قال ابن جني(٣٤): «ومنه تقريب الحرف من الحرف نحو قولهم في (مصدر): مزدر، وفي (التصدير): التزدير، وعليه قول العرب في المثل: لم يحرم من فُزْدَ له، أصله: فُصِد له، ثم أسكنت العين، على قولهم في (ضرب): ضرب، فلما سكنت الصاد فضعفت به وجاورت الصاد وهي مهموسة، الدال وهي مجهورة قربت منهما بأن أشمت شيئًا من لفظ الزاي المقاربة للدال بالجهر.»(٣٥)

والعملية من الناحية النطقية ليست مجرد توافق بين صوتين فحسب. إنها أكثر من ذلك بكثير، فهي عملية مرتبطة بميكانيكية النطق، فإن الوترين الصوتيين في حال نطق الأصوات المهموسة، والصاد واحد منها، يبتعد أحدهما عن الآخر، حتى تكون المسافة بينهما كافية لمرور الهواء بحرية وطلاقة، فلا يتذبذب الوتران الصوتيان. وأما سرعة الهواء فإنها تتراوح مابين ٢٠٠ ـ ٣٠٠سم^{٣}/ث غالبًا. وأما في حال نطق الأصوات المجهورة، والدال واحد منها، فإن الوترين الصوتيين يقترب أحدهما من الآخر حتى تكون المسافة بينهما غير كافية لمرور الهواء بحرية وطلاقة فيفرقهما الهواء، ثم يقتربان، ثم يبتعدان، وتتكرر العملية حتى تتراوح مرات الذبذبة مابين ١٤٠ ـ ١٦٠ذبذبة في الثانية عند الرجال، ومابين ٢٤٠ ـ ٢٦٠ذبذبة عند النساء، وتكون سرعة الهواء ما بين ٢٠٠ ـ ٧٠٠سم^{٣}/ث تقريبًا. (٣٦) ومعنى ذلك، أن تغير نطق الصاد ليصبح مجهورًا عند مجاورته الدال في (يصدر

---

(٣٣) عثمان الداني، *التيسير في القراءات السبع*، تحقيق أوتوبرتزل (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٥م)، ص١٨.

(٣٤) أبوالفتح عثمان بن جني صاحب التصانيف الكثيرة في اللغة والنحو والأدب. صحب أبا علي الفارسي. توفي سنة ٣٧٢هـ. القفطي، *إنباه الرواة*، جـ٢، ص٣٣٥.

(٣٥) عثمان بن جني، *الخصائص*، تحقيق محمد علي النجار (بيروت: دار الهدى للطباعة والنشر، د. ت.)، جـ٢، ص١٤٢.

(٣٦) انظر تفصيل ذلك في: .Catford, p. 100

و أصدق) إنما كان بسبب السرعة في عمل الوترين الصوتيين، وبسبب تغير ديناميكية الهواء في الوضعين المختلفين اللذين يتخذهما الوتران الصوتيان جهرًا وهمسًا. ونطق الصاد على هذا النحو في (أصدق) و (يصدر) صورة فرعية لنطقها الأساسي. وقد قمت بقياس الترددات المختلفة لنطق كلمة (يصدر)، بهمس الصاد، ثم بجهرها أي بجعلها زايًا مفخمة، وذلك باستخدام الراسم الطيفي المحوسب، فتبين أن نطقها مجهورة يخفف من تردداتها، وهو الأمر الذي يفسر لنا اختيار الكسائي لجهر الصاد في هاتين الكلمتين. وقد كانت النتائج كما هي مبينة فيما يأتي:

١ ـ عند نطق الصاد مهموسة في (يصدر)، أي بنطقها على الأصل دون تغيير، بلغت ترددات الصوت في المستوى الترددي الأول **٢٢٢**هرتز. أما عند نطقها زايًا مفخمة، فقد بلغت تردداتها في المستوى الترددي الأول **٢٠٤**هرتز، أي بفارق مقداره **١٨**هرتز. أي أن ترددات الصاد تقل في المستوى الترددي الأول عند نطقها مجهورة.

٢ ـ **بلغ أعلى تردد** للصاد مهموسة في (يصدر) **٤٨٧** هرتز، وبلغ أعلى تردد عند نطقها زايًا مفخمة **٤٢٨** هرتز، أي بفارق مقداره **٥٩** هرتز. وهذا يعني أن أعلى تردد للصاد في (يصدر) يقل عند نطقها مجهورة.

٣ ـ **بلغ معدل الترددات** عند نطق الصاد مهموسة في (يصدر): **٣٩٣**هرتز، وبلغ معدلها عند نطق الصاد زايا مفخمة **٣٣٢**هلاتز، أي بفارق مقداره **٦١**هرتز. وهذا يعني أن معدل الترددات يقل عند نطق الصاد في (يصدر) مجهورة.

٤ ـ بلغت نسبة **الاضطراب الموجي** عند نطق الصاد مهموسة **٢٨,٠٥**٪ وبلغت عند نطق الصاد زايًا مفخمة **٢٦,٩٥**٪، أي أنها تقل بنسبة **١,٠٩٧**٪.

٥ ـ تحدث فجوة صوتية بين الصاد والدال في (يصدر)، وهي فجوة يحدث فيها توقف سريع لتيار الهواء. وقد بلغت نسبة التوقف هذا عند نطق الصاد مهموسة **٢٨,٧٩**٪، وبلغت نسبة هذا التوقف عند نطق الصاد زايا مفخمة **١٠,٧١**٪، أي بفارق

مقداره ١٨,٠٨٪، وهو فارق كبير، إذ هو أكبر من نسبة التوقف التي تطرأ على تيار الهواء عند نطق الصاد مجهورة (زايًا مفخمة). وهذا له أهميته ودلالته في الحسابات الأكوستيكية.

من هنا يتبين لنا أن اختيار الكسائي لإشمام الصاد زايًا، (على حسب تعبير علماء القراءات)، له ما يسوغه من الناحية الصوتية الأكوستيكية، إذ تنخفض درجة ترددات الصوت في المستوى الترددي الأول، كما يقل أعلى تردد، ومعدل الترددات، وتنخفض نسبة الاضطراب الموجي، ودرجة الفجوة الهوائية كما وضحنا ذلك بالتفصيل.

ومع ذلك، فإن قراءة الكسائي لا تحول الصاد دائمًا إلى زاي مفخمة كلما كانت متبوعة بصوت مجهور. فإذا كان من شأن الصاد أن تصبح مجهورة في (أصدق)، و (يصدر) في قراءة الكسائي، فليس شأن الصاد كذلك في كلمة (الصراط) مثلاً. وأما ما روي عن الكسائي ويعقوب(٣٧) من أنهما يشمّهما زايًا في كل القرآن فقد رده الأصبهاني،(٣٨) وقال: «وهو غلط.»(٣٩)

وقد وضح ابن الجزري(٤٠) الطريقة الصحيحة في نطق الصاد حين يكون متبوعًا بصوت يمكن أن يؤثر في نطق الصاد فقال: «والصاد ليحترز حال سكونها إذا أتى بعدها تاء أن تقترب من السين نحو: ولو حرصت، وحرصتم، أو طاء أن تقترب من الزاي نحو:

---

(٣٧) يعقوب بن إسحاق الحضرمي، أحد القراء العشرة، ولد سنة سبع عشرة ومائة، سمع الحروف من الكسائي، وقرأ على أبي عمرو بن العلاء، وسمع حمزة. مات سنة ٢٥٠هـ. ابن الجزري، *غاية النهاية*، جـ٢، ص٣٨٩.

(٣٨) أحمد بن الحسين الأصبهاني، ولد سنة خمس وتسعين ومائتين. قرأ على ابن الأخرم وابن بويان والنقاش وغيرهم. له تصانيف كثيرة في القراءات العشر. توفي سنة ٣٨١هـ. ابن الجزري، *غاية النهاية*، جـ١، ص٤٩.

(٣٩) أحمد بن الحسين الأصبهاني، *المبسوط في القراءات العشر*، تحقيق سبيع حمزة حاكمي (دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٩٨٠م)، ص٨٧.

(٤٠) محمد بن الجزري، أحد أئمة القراءات المشهورين، له فيها مصنفات كثيرة. ولد بدمشق سنة ٧٥٠هـ، وتلقى العلم على أكابر شيوخ عصره، ولي قضاء الشام، وتوفي سنة ٨٣٣هـ.

اصطفى، ويصطفى، أو دال أن يدخلها التشريب عند من لا يجيزه. نحو: أصدق، ويصدر، تصدية.»(٤١) وهذا الذي ذهب إليه ابن الجزري في تحذيره من تشريب الصاد زايًا عندما يكون متبوعا بالطاء يعني شيئا واحدا وهو أن الطاء كان صوتًا مجهورًا، ولم يكن صوتًا مهموسًا. وعلى هذا انعقد الإجماع بين النحاة والقراء، يقول سيبويه:(٤٢) «لولا الإطباق لصارت الطاء دالاً، والصاد سينًا، والظاء ذالاً، ولخرجت الضاد من الكلام، لأنه ليس من موضعها شيء غيرها.»(٤٣) وقد خرج كمال بشر بثلاثة احتمالات يفسّر بها التقابل بين الطاء والدال في كلام سيبويه، وهذه الاحتمالات هي:(٤٤)

الاحتمال الأول: ليس من البعيد أن يكون هؤلاء العلماء قد أخطأوا التقدير فظنوا أن الطاء مجهورة. وقد يقبل هذا الاحتمال إذا علمنا أنهم لم يشيروا إلى العامل الأساسي في حدوث ظاهرتي الجهر والهمس. ونعني بهذا العامل وضع الأوتار الصوتية حال النطق بالأصوات، بل قل إنهم لم يشيروا إطلاقًا إلى وظيفة هذه الأوتار في عملية النطق.

الاحتمال الثاني: لعل تطورًا قد حدث في نطق ذلك الصوت الذي يرمز إليه كتابة بالحرف [ط]، فلعلهم كانوا ينطقونه في القديم بما يشبه نطق الضاد الحالية. والضاد الحالية صوت مجهور، وهي (لا الطاء) النظير المطبق أو المفخم للذال.

الاحتمال الثالث: لعلهم كانوا يصفون صوتًا يشبه الطاء الذي نسمعه في بعض لهجات الصعيد، وفي نطق بعض السودانيين الآن، وهو صوت طاء مشربة بالتهميز glottalization، أي أننا نشعر عند نطقها بوجود عنصر الهمز فيها.

---

(٤١) ابن الجزري، *النشر*، جـ١، ص٢١٩.

(٤٢) عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب سيبويه، إمام أئمة النحو، أخذ عن حماد بن سلمة والخليل بن أحمد، توفي سنة ١٨٠هـ. كتابه في النحو أعظم كتب النحو العربي قاطبة.

(٤٣) عمرو بن عثمان سيبوية، *الكتاب*، تحقيق عبدالسلام هارون (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥م)، ص٤٣٦.

(٤٤) كمال بشر، *علم اللغة العام ـ الأصوات* (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٠م)، ص١٠٣.

إن النص الذي نقلناه من ابن الجزري يدفع الاحتمالين الأول والثالث، ولا يبقى إلا الاحتمال الثاني، وهو أن الطاء كان ينطق كما ننطق نحن الضاد في العربية الفصيحة المعاصرة، وهي التي يقرأ بها القرآن الكريم. فلو لم يكن الطاء مجهورًا لم يكن ثمة داعٍ إلى أن يحذر ابن الجزري من نطق الصاد مشربًا بالزاي عندما يكون متبوعًا بالطاء: «والصّاد ليحترز حال سكونها إذا أتى بعدها طاء أن يقترب من الزاي نحو: اصطفى، ويصطفي.» وهذا يعني بوضوح أن علماء العربية وعلماء القراءات لم يخطئوا في وصف الطاء عندما عدّوه مجهورًا. هذا وقد سمعت بعض سكان صنعاء والقرى المجاورة لها ينطقون الطاء ضادًا. بل سمعت بعض القراء اليمنيين ينطقون الطاء ضادًا في الإذاعة المرئية والمسموعة. وهذا يدل على أن نطق الطاء على هذا النحو هو النطق العربي الصحيح الذي وصفه علماء العربية وعلماء القراءات.

على أي حال، يمكن الخروج بنتيجة لمسألة تحول الصاد إلى زاي في قراءة الكسائي، بما يمكن تمثيله بالمعادلة(٢) وهي الآتية:

المعادلة (٢)

$$\begin{bmatrix}\text{+ لثوي}\\ \text{+ وقفي}\\ \text{+ مجهور}\end{bmatrix} \;\_\_\_\; / \;\begin{bmatrix}\text{+ لثوي}\\ \text{+ احتكاكي}\\ \text{+ صفيري}\\ \text{+ مطبق}\\ \text{+ مجهور}\end{bmatrix} \longleftarrow \begin{bmatrix}\text{+ لثوي}\\ \text{+ احتكاكي}\\ \text{+ صفيري}\\ \text{+ مطبق}\\ \text{+ مهموس}\end{bmatrix}$$

ومن صور المماثلة الرجعية المباشرة في قراءة الكسائي أنه قرأ السين في (يبسط) و(بسطة) بالصاد. ووجه المماثلة هنا أن الطاء (وهو صوت مطبق) قد أثر في السين (وهو صوت مرقق غير مطبق)، فأصبح السين صوتًا مطبقًا. والمعادلة(٣) توضح هذ التحول الصوتي:

المعادلة (٣)

$$\begin{bmatrix}+\text{لثوي}\\+\text{وقفي}\\+\text{مهموس}\\+\text{مطبق}\end{bmatrix} \;\_\_\_\; / \begin{bmatrix}+\text{لثوي}\\+\text{احتكاكي}\\+\text{صفيري}\\+\text{مهموس}\\+\text{مطبق}\end{bmatrix} \longleftarrow \begin{bmatrix}+\text{لثوي}\\+\text{احتكاكي}\\+\text{صفيري}\\+\text{مهموس}\\-\text{مطبق}\end{bmatrix}$$

ومن صور المماثلة الرجعية المباشرة في قراءة الكسائي أنه كسر الباء في (بِيوت)، والعين في (عِيون)، والشين في (شِيوخًا). وإنما كان ذلك من أجل أن الضمة في هذه الصوامت متبوعة بياء لينة (نصف حركة). والفرق بين الياء والضمة فرق هائل من حيث إن الضمة صوت خلفي، فاللسان يرتد إلى الخلف عند نطقها. وأما الياء فصوت أمامي، لأن اللسان يتقدم إلى الأمام عند نطقها، وموضع نطقها في وسط الحنك.⁽⁴⁵⁾ ولذلك تتحول الضمة في (بيوت) وأضرابها إلى كسرة لتناسب الياء التي هي صوت أمامي، فتكون المماثلة كما هي مبينة في المعادلة(٤) وهي الآتية:

المعادلة (٤)

$$\begin{bmatrix}+\text{أمامية}\end{bmatrix}\text{ح}\;\frac{1}{2}\;\_\_\_\; / \begin{bmatrix}+\text{أمامية}\\+\text{ضيقة}\\+\text{غيرمدورة}\end{bmatrix}\text{ح} \longleftarrow \begin{bmatrix}+\text{خلفية}\\+\text{ضيقة}\\+\text{مدورة}\end{bmatrix}\text{ح}$$

ومن صور المماثلة الرجعية المباشرة في قراءة الكسائي أنه قرأ (سيء بهم، وسيئت)⁽⁴⁶⁾ بالإشمام.⁽⁴⁷⁾ وجه المماثلة هنا أن الهمزة (وهي صوت خلفي، لأن موضع نطقها في الحنجرة)

---

(٤٥) بشر، *علم اللغة العام*، ص١٠٣.

(٤٦) سورة هود، الآية ٧٧؛ وسورة العنكبوت، الآية ٣٣؛ وسورة الملك، الآية ٢٧.

(٤٧) الداني، *التيسير*، ص١٢٥.

قد أثرت في ياء المد (وهي صوت أمامي)، فأصبحت الياء مشمة بالضم، أي أنها أصبحت ذات حجرتي رنين: إحداهما خلفية، والأخرى أمامية. والفرق بين المماثلة في (سيء وسيئت)، وتلك التي في إشمام ياء المد ضمًّا في (قيل وغيض)، أن المماثلة في الكلمتين الأوليين مماثلة رجعية مباشرة، لأن الصوت اللاحق وهو الهمزة قد أثر في الصوت الذي يسبقه مباشرة وهو الياء، فجعله مشمًّا بالضم. وأما المماثلة التي في (قيل وغيض) فهي تقدمية مباشرة. ويمكن تمثيل التغير الذي طرأ على (سيىء وسيئت) بالمعادلة (٥)، وهي الآتية

المعادلة (٥)

$$\text{ح} \begin{bmatrix} \text{+ أمامية} \\ \text{+ ضيقة} \\ \text{- مدورة} \end{bmatrix} \longrightarrow \text{ح} \begin{bmatrix} \text{+ أمامية} \\ \text{+ ضيقة} \\ \text{+ مدورة} \end{bmatrix} \Big/ \_\_\_\,\text{ص} \begin{bmatrix} \text{+ خلفي} \end{bmatrix}$$

غير أن الإدغام أهم صورة من صور المماثلة الرجعية المباشرة في قراءة الكسائي. أما أنه صورة من صور المماثلة فحسبنا أن ابن جني(٤٨) يقول: «قد ثبت أن الإدغام المألوف المعتاد إنما هو تقريب صوت من صوت،»(٤٩) ويقول: «والمعنى الجامع لهذا كله تقريب الصوت من الصوت.»(٥٠) واستعمال ابن جني كلمة (الصوت) في هذين النصين استعمال موافق للدراسات الصوتية المعاصرة التي تستعمل هذه الكلمة بدلاً من كلمة (الحرف)، وهي الكلمة التي كانت سائدة في الدرس الصوتي والصرفي والنحوي القديم. وبذلك يكون ابن جني سباقًا في استعمال ما لم يستعمله غيره من اللغويين العرب قبله وبعده. ويوضح ابن جني حقيقة الإدغام مرة أخرى وبصورة أعمق فيقول: «فإن كان الأول من المثلين متحركًا ثم أسكنته لتخلطه بالثاني وتجذبه إلى مضامّته وممارسة لفظة بلفظة بزوال

---

(٤٨) هذا الرأي ليس خاصًا بابن جني وحده، بل هو رأي علماء العربية بعامة، واخترنا قول ابن جني لاستعماله كلمة الصوت بدلاً من الحرف.

(٤٩) ابن جني، *الخصائص*، جـ٢، ص١٣٩.

(٥٠) ابن جني، *الخصائص*، جـ٢، ص١٤٠.

الحركة التي كانت حاجزة بينه وبينه. وأما إن كانا مختلفين ثم قلبت وأدغمت، فلا إشكال في إيثار تقريب أحدهما من صاحبه، لأن قلب المتقارب أوكد من تسكين النظير.»(٥١)

وتبرز هنا قضية صوتية وهي: هل الصوتان المدغمان صوت واحد أم صوتان؟ ولتوضيح هذا السؤال نقول: هل الدالان في (شدّ) صوتان أم صوت واحد؟ وهل الميمان في (امّحى) صوتان أم صوت واحد؟ وهل الضادان في قراءة الكسائي بإدغام الدال بالضاد في ﴿فَقَدْضَلَّ﴾ صوت واحد أم صوتان؟ لقد كتب جعفر عبابنة حول هذه المسألة بحثا نشره في *مجلة أبحاث اليرموك*،(٥٢) وقد خالف فيه القدماء والمحدثين الذين يرون «أن الإدغام يجعل من الحرفين ــ كذا ــ حرفًا واحدًا طويلاً.»(٥٣) فقد أورد لابن جني وشارح الشافية(٥٤) نصوصًا تدل على أن الصوت المشدد حرف واحد من الناحية النطقية، ثم رد عليها، ورد عبدالصبور شاهين، وبيستون، وأحمد مختار عمر، وتمام حسان. وملخص رأيه في المسألة أن الصوت المشدد هو في الحقيقة صوتان لا صوت واحد، ومن أدلته على ذلك ما يأتي:

١ ـ أن التركيب المقطعي لكلمة مثل (عدّ) يجعل العين وما يليها من فتحة والدال الأولى الساكنة في مقطع، كما يجعل الدال الثانية وحركتها الفتحة في مقطع آخر.(٥٥)

٢ ـ تبين مصادر الإدغام يدل على أن الإدغام يتألف من حرفين لا حرف واحد (كذا)، فلا إدغام بغير تضعيف أي وجود حرفين مثلين.(٥٦)

٣ ـ أن فك الإدغام يدل هو الآخر دلالة قاطعة على وجود المثلين، فلو قلنا في (شدّ): (شددت) لبيّن لنا الإظهار أن ثمة حرفين مثلين لا حرفا واحدا.(٥٧)

---

(٥١) ابن جني، *الخصائص*، جـ٢، ص١٤٠.

(٥٢) جعفر عبابنة، «في حقيقة الإدغام،» *أبحاث اليرموك*، م٣، ع٢ (١٩٨٥م)، ص ص ٤٧ - ٥٩.

(٥٣) عبابنة، «في حقيقة الإدغام،» ص٥٢.

(٥٤) شارح الشافية هو الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الأستراباذي النحوي المتوفى سنة ٦٨٦هـ.

(٥٥) عبابنة، «في حقيقة الإدغام،» ص٥٤.

(٥٦) عبابنة، «في حقيقة الإدغام،» ص٥٥.

(٥٧) عبابنة، «في حقيقة الإدغام،» ص ص٥٥، ٥٦.

ولا حاجة بنا إلى ذكر سائر أدلة جعفر عبابنة في أن الصوتين المدغمين صوتان لا صوت واحد، فهي كلها تجري على هذا النسق. وإنما اختلط الأمر على جعفر عبابنة بسبب عدم تفريقه بين مستويين من التحليل الصوتي: المستوى الفوناتيكي الذي يتناول العملية النطقية بغض النظر عن المواقع الوظيفية للصوت، والمستوى الفونولوجي الذي يتتبع المواقع الوظيفية للصوت ويرصدها. وعلى ذلك، فالإدغام من الناحية الفوناتيكية الخالصة، هو إطالة مدة الصامت وزيادة كميته، فإذا كان هذا الصامت وقفيًا كالدال مثلاً، فتشديده يعني إطالة مدة حبس الهواء وزيادة ضغطه. وليس الإدغام فوناتيكيًا إلا إطالة لمدة حبس الهواء وزيادة ضغطه، فيظهر الصوتان صوتًا واحدًا مشددًا. وإذا كان الصوت استمراريًا كالصاد مثلاً، فتشديده يعني زيادة كميته (بضغط الهواء) وإطالة مدته، وليس الصوتان الاستمراريان المدغمان إلا صوتًا واحدًا زيدت كميته وأطيلت مدته. هذا من الناحية الفوناتيكية المحضة. ولا أحسب أن اللغويين القدامى والمحدثين كانوا يريدون خلاف ذلك وهم يصفون عملية الإدغام، وهم على حق في ذلك.

ولا شك أن الحكم على الإدغام من الناحية الفونولوجية الوظيفية مختلف عن ذلك تمامًا. ولا أظن أن عبابنة كان يكشف عن أمر يجهله اللغويون القدامى والمحدثون حين قال: إن الدال المشدد في (شدّ) صوتان لا صوت واحد. أليس من البدهيات أن وزن (شدّ) هو (فَعَل)؟ فهل أثبت أمرًا كان اللغويون القدامى والمحدثون على خلافه؟

وإذن فالخلط بين المستويين الفوناتيكي والفونولوجي هو الذي يقود إلى معرفة الحقيقة الصوتية للإدغام بمستوييها اللذين ذكرنا.

ولدى استقراء المواطن التي أدغم فيها صوت في صوت آخر في قراءة الكسائي تبينت الوجوه الآتية للإدغام:

١ - إدغام صوت استمراري في صوت استمراري، وذلك مثل: ﴿**بل نَتّبع**﴾، (٥٨) فقد قرأها الكسائي بإدغام اللام في النون؛ (٥٩) ومثل: ﴿**ومن يفعل ذّلك**﴾، (٦٠) فقد قرأها

---

(٥٨) سورة البقرة، الآية ١٧٠؛ وسورة لقمان، الآية ٢١.
(٥٩) المحيسن، *المهذب*، جـ١، ص٨١.
(٦٠) سورة البقرة، الآية ٢٣١.

بإدغام اللام في الذال. (٦١) ومثل: ﴿**ويعذب مّن يشاء**﴾، (٦٢) فقد قرأها بإدغام الباء في الميم. (٦٣)

٢ ـ إدغام صوت وقفي في صوت استمراري، وذلك مثل: ﴿**فقد ظّلم**﴾، (٦٤) فقد قرأها بإدغام الدال في الظاء؛ (٦٥) ومثل: ﴿**أنبتت سّبع سنابل**﴾، (٦٦) فقد قرأها بإدغام التاء في السين؛ (٦٧) ومثل: ﴿**ولقد صّدقكم**﴾ (٦٨) فقد قرأها بإدغام الدال في الصاد؛ (٦٩) ومثل: ﴿**وجاءت سّكرة الموت**﴾، (٧٠) فقد قرأها بإدغام التاء في السين. (٧١) قال ابن خالويه: (٧٢) «قوله تعالى: ﴿**لقد سّمع**﴾ يقرأ بإدغام الدال في السين وإظهارها، وكان الكسائي يقول: إدغامها أكثر وأفصح وأظهر، وإظهارها لكنة ولحن.» (٧٣) وتمثل المعادلة (٦) هذا التغير الصوتي.

---

(٦١) المحيسن، *المهذب*، جـ١، ص٩٣.

(٦٢) سورة البقر، الآية٢٨٤.

(٦٣) المحيسن، *المهذب*، جـ١، ص١١٢.

(٦٤) سورة البقرة، الآية٢٣١؛ وسورة الطلاق، الآية١.

(٦٥) المحيسن، *المهذب*، جـ١، ص٩٣.

(٦٦) سورة البقرة، الآية٢٦١.

(٦٧) المحيسن، *المهذب*، جـ١، ص١٠٤.

(٦٨) سورة آل عمران، الآية١٥٢.

(٦٩) المحيسن، *المهذب*، جـ١، ص١٣٩.

(٧٠) سورة ق، الآية١٩.

(٧١) المحيسن، *المهذب*، جـ٢، ص٣٧٣.

(٧٢) الحسن بن أحمد بن خالويه، من أئمة النحو والقراءات. أخذ عن ابن مجاهد وابن دريد وابن الأنباري والسيرافي وغيرهم. توفي سنة ٣٧٠هـ. عبدالرحمن السيوطي، بغية *الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم (القاهرة: مكتبة عيسى البابي الحلبي، ١٩٦٤م)، جـ١، ص٥٢٩.

(٧٣) الحسين بن أحمد بن خالويه، *الحجة في القراءات السبع*، تحقيق عبدالعال سالم مكرم (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٠م)، ص١١٧.

المعادلة (٦)

$$\begin{bmatrix}\text{- وقفي}\end{bmatrix} \;\text{—}\; / \begin{bmatrix}\text{- وقفي}\end{bmatrix}\text{ص} \longleftarrow \begin{bmatrix}\text{+ وقفي}\end{bmatrix}\text{ص}$$

٣ - إدغام صوت وقفي في صوت مركب وذلك مثل: ﴿**قد جّئتكم**﴾(٧٤) فقد قرأها الكسائي بإدغام الدال في الجيم. (٧٥) والمعادلة (٧) تمثل هذا التغير الصوتي.

المعادلة (٧)

$$\begin{bmatrix}\text{+ مركب}\end{bmatrix}\text{ص}\;\text{—}\; / \begin{bmatrix}\text{+ مركب}\end{bmatrix}\text{ص} \longleftarrow \begin{bmatrix}\text{+ وقفي}\\ \text{- مركب}\end{bmatrix}\text{ص}$$

٤ - إدغام صوت استمراري في صوت وقفي وذلك مثل: ﴿**إذ تّحسونهم**﴾(٧٦) فقد قرأها بإدغام الذال في التاء. (٧٧) وقرأ الكسائي بإدغام الذال في التاء في ﴿لَبِثْتُمْ﴾(٧٨) و ﴿وَلَبِثْتَ﴾(٧٩) والمعادلة(٨) تمثل حقيقة هذا التغير الصوتي.

المعادلة (٨)

$$\begin{bmatrix}\text{+ وقفي}\end{bmatrix}\text{ص}\;\text{—}\; / \begin{bmatrix}\text{+ وقفي}\end{bmatrix}\text{ص} \longleftarrow \begin{bmatrix}\text{- وقفي}\end{bmatrix}\text{ص}$$

---

(٧٤) سورة آل عمران، الاية٤٩.

(٧٥) المحيسن، *المهذب*، جـ١، ص١٢٤.

(٧٦) سورة آل عمران، الآية١٥٢.

(٧٧) المحيسن، *المهذب*، جـ١، ص١٣٩.

(٧٨) سورة الكهف، الآية١٩.

(٧٩) سورة الشعراء، الاية١٨.

٥ ـ أما إدغام صوت وقفي في صوت وقفي آخر فذلك ليس خاصًا بقراءة الكسائي، بل هو مجمع عليه بين القراءات القرآنية، وذلك مثل إدغام الدال في التاء كما في: ﴿لَّقَد تَّابَ﴾.(٨٠) ويكون وجه المماثلة هنا بتغير الجهر إلى همس، إذ تحول صوت الدال المجهور إلى نظيره المهموس وهو التاء، ثم أدغما، والمعادلة(٩) تمثل هذا التغير.

المعادلة (٩)

$$\text{ص} \begin{bmatrix} +\text{مجهور} \end{bmatrix} \longrightarrow \text{ص} \begin{bmatrix} -\text{مجهور} \end{bmatrix} \; / \; \_\_\_ \; \text{ص} \begin{bmatrix} -\text{مجهور} \end{bmatrix}$$

٦ ـ وأما إدغام الدال في الضاد في مثل: ﴿**فقد ضّل**،﴾(٨١) فليس من إدغام الوقفي في الوقفي، وإنما هو من إدغام الوقفي في الاستمراري، لأن الضاد في نطقهم لم يكن صوتًا وقفيًا، بل كان استمراريًا (رخوًا)، هكذا عدها سيبويه(٨٢) وغيره.(٨٣) وهذا يعني أن الضاد لم يكن كضادنا الفصيحة المعاصرة، بل كانت مختلفة عنها تمامًا، وإلى ذلك يشير ابن الجزري فيقول: «والضاد انفرد بالاستطالة. وليس من الحروف ما يعسر على اللسان مثله، فإن ألسنة الناس فيه مختلفة، وقلّ من يحسنه، فمنهم من يخرجه ظاء، ومنهم من يمزجه بالذال، ومنهم من يجعله لامًا مفخمة، ومنهم من يشمّه الزاي، وكل ذلك لا يجوز.»(٨٤)

٢ ـ الإمالة

هي في مفهومنا الصوتي المعاصر أنه حركة واقعة بين أعلى حركة وأدنى حركة (سواء أكانت الحركة أمامية أم خلفية). فأعلى حركة أمامية هي الكسرة (والكسرة الطويلة وهي ياء المد). وأدنى حركة أمامية هي الفتحة المرققة (والفتحة الطويلة وهي الألف). وأي حركة

---

(٨٠) سورة التوبة، الآية١١٧.

(٨١) سورة البقرة، الآية١٠٨.

(٨٢) سيبويه، *الكتاب*، جـ٤، ص٤٣٥.

(٨٣) محمد بن سهل السراج، *الأصول في النحو*، تحقيق عبدالحي الفتلي (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م)، جـ٣، ص٤٠٢.

(٨٤) ابن الجزري، *النشر في القراءات العشر*، جـ١، ص٢١٩.

واقعة بين الكسرة والفتحة المرققة، أو بين ياء المد والألف المرققة هي حركة ممالة. وهذا واضح في شكل رقم ١.

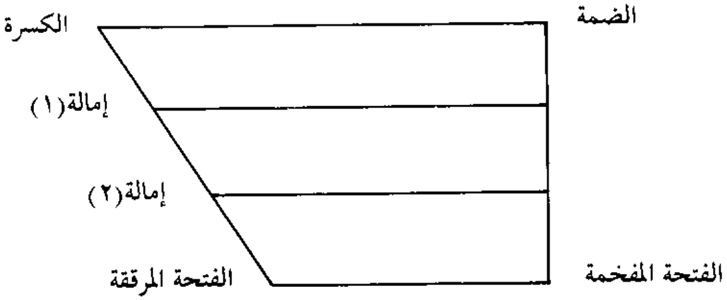

شكل رقم ١.

كذلك، فإن أية حركة واقعة بين الضمة والفتحة المفخمة (أو بين واو المد والألف المفخمة) هي في حقيقتها إمالة. ولكن علماء العربية والقراءات لا يقصدون بالإمالة إلا ما كان بين أعلى حركة أمامية وأدنى حركة أمامية.

وقد قسم علماء العربية والقراءات الإمالة قسمين: إمالة كبرى وصغرى «فالكبرى متناهية في الانحراف، والصغرى متوسطة بين اللفظين، أي بين لفظ الفتح ولفظ الإمالة المحضة.»(٨٥) وعلى ذلك، يكون ما سمّوه بالإمالة الصغرى قريبًا مما نسميه نحن الآن ــ في علم الأصوات ــ بالحركة المعيارية الأساسية الثانية، ويكون ما سمّوه بالإمالة الكبرى قريبًا مما نسميه الآن بالحركة المعيارية الأساسية الثالثة.

والغريب أن ابن جني يعدّ الإمالة ضربًا من ضروب الإدغام الأصغر، ولذلك فهو يقول: «وأما الإدغام الأصغر فهو تقريب الحرف من الحرف، وإدناؤه منه من غير إدغام يكون هناك، وهو ضروب فمن ذلك الإمالة، وإنما وقعت في الكلام لتقريب الصوت من

---

(٨٥) علي بن عثمان بن القاصح، *سراج القارىء المبتدى وتذكار القارىء المنتهي*، (القاهرة: مصطفى البابي الحلبي، ١٩٥٤م)، ص١٠٣.

الصوت، وذلك نحو: عالم، وكتاب، وسعى، وقضى، واستقضى. ألا تراك قربت فتحة العين من (عالم) إلى كسرة اللام منه، بأن نحوت بالفتحة نحو الكسرة، فأملت الألف نحو الياء، وكذلك سعى، وقضى: نحوت بالألف نحو الياء التي انقلبت عنها.»⁽⁸⁶⁾ ومعنى هذا أن الإمالة في نظر ابن جني إنما هي ضرب من المماثلة، إذ أن الألف في (عالم)، و(كتاب) تمال من أجل أن تقترب من كسرة اللام التي بعدها في (عالم) وكسرة الكاف التي قبلها في (كتاب). ولهذا ما يؤيده في عملية التحليل التقابلي، فألف (عالم)، بفتح اللام، لا تمال، وألف (شارك ودافع وصافح وأضرابها) لا تمال في فصيح اللسان العربي.

تكثر الإمالة في قراءة الكسائي بشكل ملحوظ، وذلك على الرغم من اختلاف راوييه: الدوري، وأبي الحارث في ذلك، قال ابن مجاهد:⁽⁸⁷⁾ «وأما الكسائي فروى عنه أبوالحارث أنه لم يمل من ذلك شيئًا، إلا إذا تكررت الراء في موضع الخفض مثل: الأشرار، ومن قرار، والأبرار. وكان أبو عمر الدوري يروي عنه أنه كان يميل كل ألف بعدها راء مكسورة.»⁽⁸⁸⁾

إذا استقرأنا المواطن التي تحدث فيها الإمالة في قراءة الكسائي كان بالإمكان حصرها فيما يأتي:

١ ـ قرأ الكسائي بإمالة كل ألف منقلبة عن ياء في الأسماء والأفعال.⁽⁸⁹⁾

---

(٨٦) ابن جني، *الخصائص*، جـ٢، ص١٤١.

(٨٧) أبوبكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد. ولد ببغداد سنة ٢٤٥هـ. قرأ على ابن عبدوس والأشناني وغيرهما. له كتاب *السبعة في القراءات*. توفي سنة ٣٢٤هـ. ابن الجزري، *غاية النهاية*، جـ١، ص١٣٩.

(٨٨) أحمد بن مجاهد، *السبعة في القراءات*، تحقيق شوقي ضيف (القاهرة: دار المعارف، ١٤٠٠هـ)، ص١٤٩.

(٨٩) ابن القاصح، *سراج القارىء*، ص١٠٣.

وعلى ذلك، فالألف في الكلمات الآتية تقرأ ممالة في قراءة الكسائي: استوى، فسواهنّ، فتلقى، تولى، أغنى، يجزاه، أعطى، فغشّاها، فتعاطى، أدهى، اشتراه، سعى، قضى، ترضى، وصّى، اصطفى، ترضاها، نرى، اتقى، اعتدى، الهدى.

وإمالة هذه الكلمات وأضرابها من فصيح اللسان العربي، قال سيبويه: «أما ما كان من بنات الياء فتمال ألفه، لأنها موضع ياء وبدل منها فنحوا نحوها.»(٩٠) وقد سمّى مكي بن أبي طالب(٩١) هذا النوع بأنه «الإمالة للإمالة» نحو: رأى، ورآه، ورآك، أميلت الألف التي بعد الهمزة لتقرب من أصلها وهو الياء، وأميلت فتحة الهمزة، ليوصل بذلك إلى إمالة الألف، وأميلت الراء لإتيان حرفين ممالين بعدها، ومثله: «ونأى بجانبه.»(٩٢) هذا الذي ذهب إليه مكي بن أبي طالب غريب، بل هو غير صحيح، فهو يتصور كما كان غيره من علماء العربية يتصورون أن الهمزة في (رأى) لها فتحة ذات وجود مستقل عن وجود الألف. والحق أنه لا وجود لمثل هذه الفتحة. فالموجود بعد الهمزة في (رأى) هو الألف.

٢ - قرأ الكسائي بإمالة ألف التأنيث فيما كان:

(أ) على وزن (فُعْلى) بضم الفاء مثل: الأُنثى، والسوْى، والأُخرى، والبُشرى، والكُبرى.

(ب) على وزن (فَعْلى) بفتح الفاء مثل: التقوى، والنّجوى، وشتّى، وأَسرى، وسَكْرى.

(جـ) على وزن (فِعْلى) بكسر الفاء مثل: إحدى، وسيماهم، والشّعرى، والذّكرى.

---

(٩٠) سيبويه، *الكتاب*، جـ٤، ص١١٨.

(٩١) مكي بن أبي طالب القيسي، أحد أئمة القراءات. ولد بالقيروان سنة **٣٥٥**هـ. قرأ على أئمة عصره مثل ابن غلبون. له مصنفات كثيرة، توفي سنة **٤٣٧**هـ. ابن الجزري، *غاية النهاية*، جـ**٢**، ص**٣٠٩**.

(٩٢) مكي بن أبي طالب القيسي، *الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها*، تحقيق محيي الدين رمضان (دمشق: مجمع اللغة العربية، **١٩٧٤**م)، جـ١، ص٩١.

(د) على وزن (فُعالى) بضم الفاء مثل: فُرادى، وكُسالى.

(هـ) على وزن (فَعالى) بفتح الفاء مثل: اليتامى، والأيامى، والنصارى. (٩٣)

٣ ـ قرأ الكسائي بإمالة ألف كل اسم استفهام مثل(٩٤) أنّى، ومتى، كما في: ﴿أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾(٩٥) و ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾(٩٦)، و ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ﴾(٩٧) و ﴿مَتَىٰ هُوَ﴾. (٩٨)

٤ ـ قرأ الكسائي بإمالة ألف (بلى) و (عسى) حيث وقعتا في القرآن الكريم. (٩٩)

٥ ـ قرأ بإمالة كل ألف متطرفة مما ليس أصله ياء، كما في: (ضحى، ولا تضحى)، أو إن كانت متطرفة زائدة كما في: ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ﴾، و ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ﴾(١٠٠) و ﴿ٱلرُّءْيَا﴾، و ﴿رُءْيَٰىَ﴾. (١٠١)

٦ ـ وقرأ بإمالة كل ألف هو لام الكلمة منقلبًا عن واو في الفعل والاسم زائدتين على ثلاثة أحرف فصار رباعيًّا أو أكثر كما في: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾، (١٠٢) و ﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ﴾، (١٠٣) و ﴿إِذْ أَنجَىٰكُم﴾، (١٠٤) و ﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ﴾. (١٠٥) وأمثلة

---

(٩٣) ابن القاصح، *سراج القارىء*، ص١٠٤.

(٩٤) ابن القاصح، *سراج القارىء*، ص١٠٥.

(٩٥) سورة البقرة، الآية٢٥٩.

(٩٦) سورة آل عمران، الآية٣٧.

(٩٧) سورة مريم، الآية ٨، والآية٢٠؛ وسورة آل عمران، الآية٤٠.

(٩٨) سورة الإسراء، الآية٥١.

(٩٩) ابن القاصح، *سراج القارىء*، ص١٠٤.

(١٠٠) ابن القاصح، *سراج القارىء*، ص١٠٥.

(١٠١) ابن القاصح، *سراج القارىء*، ص١٠٧.

(١٠٢) سورة الشمس، الآية٩.

(١٠٣) سور يونس، الآية٢٣.

(١٠٤) سورة إبراهيم، الآية٦.

(١٠٥) سورة العنكبوت، الآية٢٤.

ذلك من المضارع: «يتلى ويدعى»، ومن الاسم: «الأدنى، والأعلى، وأزكى.»(١٠٦) وقد ذكر سيبويه إمالة هذا النوع من الكلمات، فقال: «فإذا بلغت الأسماء أربعة أحرف أو جاوزت من بنات الواو فالإمالة مستتبة، لأنها قد خرجت إلى الياء.»(١٠٧)

٧ - انفرد الكسائي بإمالة الألف في (مرضات، ومرضاتي) والألف الأخيرة في (خطايا، وخطاياكم، وخطاياهم).(١٠٨) وقد عدّ سيبويه الإمالة ممتنعة إذا كانت الألف مسبوقة بصاد، أو ضاد، أو طاء، أو ظاء، أو غين، أو قاف، أو خاء، وقد فسر سيبويه ذلك المنع فقال: «وإنما منعت هذه الحروف الإمالة لأنها حروف مستعلية إلى الحنك الأعلى، والألف إذا خرجت من موضعها استعلت إلى الحنك الأعلى. فلما كانت مع هذه الحروف المستعلية غلبت عليها كما غلبت الكسرة عليها في: (مساجد) ونحوها. فلما كانت الحروف مستعلية وكانت الألف تستعلي، وقربت من الألف، كان العمل من وجه واحد أخف عليهم.»(١٠٩)

إن ما ذكره سيبويه ليس صحيحًا من الناحية الصوتية العلمية المعاصرة، فإن الألف ليس صوتًا مستعليًا، ولا معنى لقوله: «والألف إذا خرجت من موضعها استعملت إلى الحنك الأعلى.» فاللسان عند نطق الفتحة ومدّها (وهو الألف) ينزل إلى أقصى درجة ينزل إليها عند نطق حركة. وعكس ما ذكره سيبويه هو الصحيح، فإنه يكون أسهل على اللسان أن ينتقل من وضع الاستعلاء عند نطق الصاد والضاد والطاء والظاء، إلى الوضع الذي يؤول إليه عند نطق الحركة المعيارية الأساسية الثانية وهي الإمالة الصغرى.

٨ - إذا كانت إحدى الكلمات التي يميلها الكسائي متبوعة بساكن، فإنه يميلها عند الوقف عليها فقط. ونأخذ مثلاً لذلك الفعل (نرى). فالكسائي يميل الألف فيه عندما لا يكون متبوعًا بساكن كما في الآية: ﴿ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ﴾.(١١٠) فإذا كانت متبوعة بساكن كما

---

(١٠٦) ابن القاصح، *سراج القارىء*، ص١٠٦.

(١٠٧) سيبويه، *الكتاب*، جـ٤، ص١٢٠.

(١٠٨) ابن القاصح، *سراج القارىء*، ص١٠٧

(١٠٩) سيبويه، *الكتاب*، جـ٤، ص١٢٩.

(١١٠) سورة الفرقان، الآية٢١.

في : ﴿نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾ ،(١١١) فإن الكسائي يميل ألف (نرى) عند الوقف عليها فقط، ولا يميلها عند الوصل. ومن أمثلة ذلك أيضًا الكلمات الآتية : موسى، عيسى، أذى، وذلك في مثل الآيات الآتية : ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾ ،(١١٢) فعند الوصل لا تمال ألف (موسى)، ولكنها عند الوقف عليها تمال. ومثل ذلك أيضا : ﴿عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾ ،(١١٣) فإن ألف (عيسى) لاتمال وصلاً، وتمال عندما يوقف عليها فقط. ومثل ذلك أيضا : ﴿وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ﴾ ،(١١٤) و ﴿هُدَى ٱللَّهِ﴾ ،(١١٥) وهلم جرا.

٩ ـ إذا كان الاسم منتهيًا بتاء التأنيث، فإن الفتحة تمال عند الوقف عليها، وذلك مثل : خليفة، والمسكنة، والقوة، ومعدودة، وجنة. هذا إذا لم يكن الصوت الذي قبل التاء واحد مما يأتي : الحاء، والقاف، والضاد، والغين، والطاء، والعين، والصاد، والخاء، والظاء. وعلى ذلك، فإن الكسائي لا يميل فتحة الضاد في (قبضة) عند الوقف عليها، ولا فتحة الغين في (بالغة)، ولا فتحة الطاء في (بسطة)، ولا فتحة العين في (القارعة)، ولا فتحة الصاد في (خاصة)، ولا فتحة الخاء في (الصاخة)، ولا فتحة الظاء في (موعظة)، فتمنع الإمالة في ذلك كله.(١١٦) ولكن محمد المحيسن ذهب إلى خلاف ذلك فقال : «إن الكسائي يميل فتحة الصاد في (خالصة) في حال الوقف.»(١١٧) وذكر أن الكسائي يميل فتحة الغين في (صبغة) في حال الوقف أيضًا.(١١٨) وذكر المحيسن أيضا أن الكسائي كان يميل فتحة الضاد في (فريضة).(١١٩)

---

(١١١) سورة البقرة، الآية٥٥.

(١١٢) سورة المؤمنون، الآية٤٩.

(١١٣) سورة المائدة، الآية١١٤.

(١١٤) سورة النجم، الآية٢٣.

(١١٥) سورة البقرة، الآية١٢٠.

(١١٦) ابن القاصح، *سراج القارىء*، ص١١٨.

(١١٧) المحيسن، *المهذب*، جـ١، ص٦٨.

(١١٨) المحيسن، *المهذب*، جـ١، ص٧٤.

(١١٩) المحيسن، *المهذب*، جـ١، ص١٥٧.

أما إذا لم تكن التاء مسبوقة بواحد من هذه الأصوات، فالمروي عن الكسائي أنه كان يميل الفتحة، قال خلف: (١٢٠) «سمعت الكسائي يسكت على قوله: (وبالآخرة)، وعلى: نعمة، ومعصية، ومرية، والقيامة، ونحو ذلك بكسر الراء في: الآخرة، والميم في: نعمة، والياء في معصية، وكذلك بقية ما يشبهها.»(١٢١) وقال: «كان الكسائي أمال هذه الحروف في الوقف، لأن الهاء أخت الياء والواو والألف، وإن كانت متحركة، فإذا جاءت حركتها رجع إلى فتح ما قبلها.»(١٢٢)

١٠- انفرد الكسائي بإمالة كلمة (خاف) في قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا﴾. (١٢٣) وقد قالوا في تفسير هذه الإمالة إن أصل الفعل (خَوِف) بفتح فكسر. وليس هذا هو السبب الصحيح فيما نرى. ولكننا نرى أنها أميلت على سبيل المخالفة. فالخاء صوت خلفي، إذ موضع نطقه في منطقة الطبق حين يكون مرققًا، وهو لهوي حين يكون مفخما. وهو أي الخاء في كلمة (خاف) لهوي لأنه صوت مفخم، وعلى ذلك فالألف خلفية لأنها مفخمة. وعندما تمال ألف (خاف)، فإنها تصبح أمامية، وبذلك تخالف الخاء.

٣ - تغير البنية المقطعية

ثمة أمور كثيرة تعمل على تغيير البنية المقطعية في قراءة الكسائي. من هذه الأمور ما تشترك به هذه القراءة مع سائر القراءات، ومنها ما يميزها من غيرها من القراءات. وأبرز ما يغير البنية المقطعية في قراءة الكسائي مما تمتاز به من قراءات أخرى ما يأتي:

---

(١٢٠) خلف بن هشام البزار، أحد القراء العشرة. ولد سنة ١٥٠هـ. روى عن سليم عن حمزة وعن إسحاق المسيبي، وسمع الحروف من الكسائي. كان ثقة زاهدًا عابدًا. توفي سنة ٢٢٩هـ. ابن الجزري، *غاية النهاية*، جـ١، ص٢٧٢.

(١٢١) محمد بن القاسم الأنباري، *إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل*، تحقيق محيي الدين رمضان (دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٩٧١م)، جـ١، ص ص٤٠٠، ٤٠١.

(١٢٢) الأنباري، *إيضاح الوقف*، جـ١، ص٤٠١.

(١٢٣) سورة البقرة، الآية ١٨٢.

١ ـ تحذف ضمة الهاء في ضمير الغائب المفرد (هو)، وكسر ضمير الغائبة المفردة (هي) إذا كان أيّ من هذين الضميرين مسبوقًا بواو العطف (وَهُوَ: وَهْوَ: فَهُوَ فَهْو؛ وَهِيَ: فَهْيَ)، أو كان مسبوقًا باللام الداخلة على جواب القسم كما في: ﴿**ولئن صبرتم لَهْوَ خير للصابرين**﴾.⁽¹²⁴⁾

وبذلك يتغير عدد المقاطع في الكلمة، فيصبح مقطعين بدلاً من ثلاثة مقاطع، كما هو واضح فيما يأتي:

فـَ/ هـُ/ وَ ← فـَ هـ/ وَ
فـَ/ هـِ/ يَ ← فـَ هـ/ يَ

يضاف إلى هذا أن تغيرًا قد طرأ على طبيعة المقطع الأول الذي كان قصيرًا مفتوحًا، فأصبح قصيرًا مغلقًا هكذا: (فـَ ← فـَ هـ).

٢ ـ ليس لياء المتكلم حال واحدة في قراءة الكسائي، فهو يسكّنها في مثل: ﴿**طهّرا بيتي للطائفين**﴾،⁽¹²⁵⁾ ويحرّكها في مثل: ﴿**لا ينال عهديَ الظالمين**﴾.⁽¹²⁶⁾ وهذا يؤكد أن عملية الاختيار من أهم أسس قراءة الكسائي بخاصة، والقراءات القرآنية بعامة.

وتختلف البنية المقطعية للكلمة المضافة إلى ياء المتكلم بحسب فتح الياء أو تسكينها، كما هو واضح من المقابلة الآتية:

بـَ يـ/ تـي ← بـَ يـ/ تـِ/ يَ

٣ ـ قرأ الكسائي بتحريك عين بعض الكلمات في مثل (الرُّعُب)، و(السُّحُت)، و(فَسُحُقًا)، و(بالبَخَل) بفتح الباء والخاء. ويكون التغير في البنية المقطعية على النحو الآتي:

---

(١٢٤) سورة النحل، الآية١٢٦.

(١٢٥) سورة البقرة، الآية١٢٥.

(١٢٦) سورة البقرة، الآية١٢٤.

أَ ر/ رُ عـ/ بـُ ← أَ ر/ رُ/ عـُ/ بُ
سـُ حـ/ قـَ ن ← سـُ/ حـُ/ قـَ ن

ومع ذلك، فقد قرأ الكسائي بتسكين الشين في (خُشْبٌ) من قوله تعالى: ﴿**كأنهم خُشْبٌ مسنّدة**﴾. (١٢٧)

٤ - قرأ الكسائي «لم يتسنّ.»(١٢٨) بحذف الهاء وصلاً. أما عند الوقف فإنه كان يبقيها ولا يحذفها. ومعنى ذلك أنه في حال الوصل يبقى المقطع الأخير في هذه الكلمة مقطعًا قصيراً مفتوحًا. ونسب بعض العلماء إلى الكسائي أنه كان في حال الوصل يحذف الهاء من (اقتدِه) في قوله تعالى: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾، (١٢٩) وأما عند الوقف فإنه يبقيها. (١٣٠) والذي يمكن استنتاجه من ذلك أن الكسائي كان يغلق المقطع الأخير من هاتين الكلمتين عند الوقوف عليهما، وهو بذلك يأخذ بما كان العرب يميلون إليه من إغلاق للمقطع الأخير عندما يقفون عليه، بل إن ذلك كثير في اللسان العربي، فحركة الإعراب مثلاً تسقط عند الوقف. ثم إن أغلب استعمالات هاء السكت إنما تكون عند الفصل لا الوصل، والهاء التي في (يتسنّه) و (اقتده) هي من هذا القبيل.

٥ - قرأ الكسائي ﴿لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ حيث ورد ذلك في كتاب الله عز وجل. أي أنه كان يقرؤها (رَؤف) بزنة (فَعُل) لا (رءوف) بزنة (فعول).

٦ - قرأ الكسائي ﴿**سلاسلاً وأغلالاً وسعيراً**﴾(١٣١) و ﴿**قواريرًا قواريرا**﴾. (١٣٢) يؤثر بذلك الإيقاع والانسجام الصوتي على المنع من الصرف. وهذا كله مما جرى به اللسان العربي.

---

(١٢٧) سورة المنافقون، الآية ٤.

(١٢٨) سورة البقرة، الآية ٢٥٩.

(١٢٩) سورة الأنعام، الآية ٩٠.

(١٣٠) الأنباري، *إيضاح الوقف*، جـ١، ص٣٠٥.

(١٣١) سورة الإنسان، الآية ٤.

(١٣٢) سورة الإنسان، الآيتان ١٥، ١٦.

An Analysis of the Phonetic Phenomena of Al-Kisā'ī's Recitation

Samir Steitiya
Associate Professor, Department of Arabic,
Faculty of Arts, Yarmouk University, Irbid, Jordan

Abstract. This paper aims at classifying and analyzing the acoustic and phonological aspects of the phonetic phenomena of al-Kisā'ī's recitation. This recitation is one of the most acceptable recitations of the Quranic text.

This paper consists of two parts, the first part studies the life, knowledge, and recitation of al-Kisā'ī. The second part discusses the phonetic phenomena in this recitation. For instance, assimilation has been extracted from this recitation and has been divided into: a. immediate progressive, b. non-immediate, and c. immediate regressive. Some acoustic aspects have been studied in light of spectro-analyzers and computers.

Imāla, i.e. pronouncing *i* like *e* or ε has been extracted from al-Kisā'ī's recitation according to its phonological distribution. This was represented in some phonological formulae. The change in the construction of syllables was delivered in this study according to the morphophonological criteria of this recitation.